الشخصية الموريسكية وبنية الزمن في الرواية العربية المعاصرة

إعداد الباحث

محمد إبراهيم محمد محمد

تحت إشراف

أ.د / أشرف محمود حنفي نجا

أستاذ الأدب و النقد

قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية

كلية التربية

جامعة عين شمس

أ.د/ أحمد محمد فؤاد مصطفى

أستاذ الأدب و النقد الحديث

قسم اللغة العربية و الدراسات الإسلامية

كلية التربية

جامعة عين شمس

٢٠٢٢م.

المقدمة:

سجلت الرواية العربية لحظات دقيقة من حياة العرب المسلمين على أرض الأندلس وما لحق بهم من ضعف وتمزّق أدى إلى سقوط دولتهم في أيدي القشتاليين، حتى التقطت عين القاص في أثناء هذه المحنة الأندلسية شخصية الموريسكي التي أطلت علينا بكل تفاصيلها وأبعادها النفسية والثقافية والاجتماعية، وصارت محورًا للرواية العربية، ومادة شائقة شديدة الخصوبة والثراء في غناء سردها من حيث الأحداث والشخصيات والزمان والمكان، والربط بينها وبين أحداث الحاضر عبر آلية الإسقاط.

ويتناول البحث علاقة الشخصية الموريسكية وبنية الزمن في الرواية العربية المعاصرة من خلال المفارقات الزمنية وتقنياتها:

أولًا: تقنية الاسترجاع.

ثانيًا: تقنية الاستباق.

ثالثًا: تقنية التزامن.

واعتمد الباحث على الروايات العربية المعاصرة التي تناولت شخصية الموريسكي:

١. إبراهيم عيسى، (البُشْرات النبضة الأندلسية الأخيرة)، طبعة إبداع للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤م.

٢. حسن أوريد، (الموريسكي)، منشورات دار الأمان، الرباط، ط٣، ٢٠١٤م.

٣. د. رضوى عاشور، (ثلاثية غرناطة)، دار الشروق، القاهرة، ط ١٤، ٢٠١٤م.

٤. صبحى موسى، (الموريسكي الأخير)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥م.

٥. واسيني الأعرج، (البيت الأندلسي)، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

استخدم الباحث المنهج الوصفي في التحليل الروائي وتكاملية المنهج في تحليل النص السردي بثريان الدراسة، ويوضحان جوانبها المختلفة، وقد استعان الباحث بمقولات النقاد البنيويين في تحليل الزمن السردي مثل "جيرار جينيت"، ويفيد أيضًا من المرجعيات التاريخية والاجتماعية في تحليل شخصية الموريسكي وكشف سماتها النفسية ومدى امتزاج الحقيقة بالخيال في السرد الروائي وتجسيد أحداثه خلال الفترة الزمنية لسقوط الأندلس.

وبالنسبة للدراسات السابقة، فلم يجد الباحث – في حدود علمه – دراسات سابقة حول هذه التقنية، وتحليلها لشخصية الموريسكي في الروايات العربية المعاصرة.

تُعدُّ الأندلس الحلم الذي لا يزال يداعب العقل العربي المبدع؛ ولذلك فقد شغلت خواطر الشعراء والكتاب منذ سقوطها، وكأنها الفردوس المفقود الذي تهوي إليه قلوب المسلمين، وقد استلهم كثير من المبدعين التجربة الأندلسية ووظفوها في كتاباتهم الأدبية سواء أكانت في مجال الشعر أم المسرحية أم الرواية.

فلما بدأ الأمر يستتب للملكين الكاثوليكيين في الأندلس، فصار محو الهوية الأندلسية العربية الإسلامية هو سمت مرحلة ما بعد السقوط في يد ملوك قشتالة، فبدت نيات السياسة الإسبانية واضحة نحو المسلمين، وكانت الكنيسة تحاول أن تعمل جاهدة لتحقيق غايتها أعني تنصير المسلمين بالوعظ والإقناع... ولم تسفر تلك الجهود عن نتائج تذكر، فجنحت الكنيسة عندئذ لسياسية العنف والمطاردة.[١]

[١] محمد عبد الله عنان، (دولة الإسلام في الأندلس – العصر الرابع - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٧ م، ص ٣١٤.

فلم يقتصر الأمر على التنصر فقط بل البحث في نفوس المتنصرين الجدد، فظهرت محاكم التفتيش أو ديوان التحقيق في الأندلس، ولعبت دورًا مؤثرًا في حياة الشخصية الموريسكية، قام ديوان التحقيق في مطاردة الموريسكيين وهم المتنصرون الجديد من أهل الأندلس بأعظم دور، وترك في مأساتهم أعمق الأثر.[٢] ولم يقتصر الحرق على الكتب فقط، بل امتدت إلى الأرواح، فقد أزهقت آلاف الأرواح تحت وطأة التعذيب. [٣]

ويأمل الباحث في هذا البحث أن يكون قد استوفى مناقشة الأفكار، وتوصل إلى نتائج تضاف إلى التحليل السردي العربي، والله الموفق!

اتسع الزمن الروائي للعديد من المفاهيم التي تخدم السياق، فمنهم من أطلق عليه لفظة الشبح، وذلك إشارة إلى إنكاره له. فقد ذكر (عبد الملك مرتاض): "إن الزمن؛ هذا الشبح الوهمي الْمَخوف الذي يقتفي آثارنا حيثما وضعنا الخُطى... " [٤]. وفي موضع آخر يؤكد لنا أنه : " مظهر وهمي يُزَمْنِن الأحياء والأشياء فتتأثر بمضيه الوهمي، غير المرئي، غير المحسوس... " [٥]؛ لذا لم يقف الكثيرون على حد الزمان كتعريف مستقل بذاته؛ إذ جعلوه مخضبًا بأحداث الرواية دون فصل بينهما، يعانق الشخصية وتطورها، يتأثر بمجريات الأمور فى تطوره.

وقد أوضحت (سيزا قاسم) أهمية الزمن في بناء القصة وأوضحت ذلك في ثلاث نقاط:

أولًا: أن الزمن محوري وعليه تترتّب عناصر التشويق والايقاع والاستمرار، ثم أنه يحدد في نفس الوقت دوافع أخرى محرِّكة مثل السببية والتتابع واختيار الأحداث.

[٢] المرجع السابق، ص ٣٢٨.
[٣] أحمد محمد عطيات، (الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش)، أمواج للطباعة والنشر، الأردن، عمان، ط ١، ٢٠١٢م، ص ١٧١.
[٤] انظر المصدر السابق، المقالة السابعة، ص ١٩٩.
[٥] انظر المصدر السابق، ص ٢٠١.

ثانيًا: لأن الزمن يحدد –إلى حد بعيد– طبيعة الرواية ويشكلها، بل إن شكل الرواية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعالجة عنصر الزمن...

ثالثًا: أنه ليس للزمن وجود مستقل نستطيع أن نستخرجه من النص مثل الشخصية أو الأشياء التي تشغل المكان أو مظاهر الطبيعة، فالزمن يتخلل الرواية كلها ولا نستطيع أن ندرسه دراسة تجزيئية، فهو الهيكل الذى لا تُشيد فوقه الرواية. [٦]

وهذا ما يفسر كلام (سعيد يقطين) في: "إن مقولة الزمن متعددة المجالات. يعطيها كل مجال دلالة خاصة ويتناول بأدواته التي يصوغها فى حقله الفكري والنظري..." [٧]

علاقة الشخصية بالزمان:

فنجد ارتباط الشخصية بالزمان ارتباطًا وثيقًا متداخلًا، فهي تعيش في الماضي وما يحمله من ذكريات، وترى استشراف المستقبل وما يحمله لها، كما أنها تعيش الحاضر بكل ما فيه من أحداث، وفي كل الأحوال فإن الشخصية تتغير في كل زمان بحسب تطوره وتأثيره فيها. فتقول (مها قصراوي): "ترتبط الشخصية مع الزمن بعلاقة جدلية، يتأثر كل منها بوجود الآخر..." [٨]

ونستنتج من هذا أن الزمن لا يقف مطلقًا عند مفهوم واحد محددًا أركانه جامعًا مانعًا لكافة أبعاده، فالكل يُعرِّفه بحسب مرماه؛ لذا تتعدد مفاهيمه وتتنوع. كما ذكر لنا (محمد بوعزة): أنه على خلاف زمن القصة يخضع للترتيب الطبيعي المنطقي، يتيح زمن السرد للروائي إمكانيات واحتمالات متعددة لإعادة كتابة القصة، ذلك أن القصة الواحدة يمكن أن تروى بطرق متعددة ومختلفة، فلو

[٦] د. سيزا قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤، (سلسلة إبداع المرأة، ص ٣٨.

[٧]. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م، ص ٦١

[٨] د. مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ١٤٩.

أعطينا قصة واحدة لمجموعة من الروائيين، فإن كل واحد سيمنح لأحداثها ترتيبًا زمنيًا يتناسب مع اختياراته الفنية وغاياته الفنية، فيقدم ويؤخر في الأحداث بما يحقق غاياته الجمالية.[٩]

وقد ذكر (د/ أحمد فؤاد): أن دراسة زمن السرد للشخصية وعلاقتها بالحدث من حيث (الاتجاه) هى: التزامن (الآنية)؛ حيث يكون زمان القول معاصرًا لزمن القصة ويكون ذلك في حال الحوار، والرجعات (النكوص)؛ حيث يعود الكاتب إلى أحداث ماضية عن أحداث القص الآني، سواء أكان ذلك على لسان الراوي أم على لسان إحدى الشخصيات، والتوقعات (الاستباق)، وفيها يخبر السارد أو إحدى الشخصيات عن أحداث أو نتائج يستشرف وقوعها.[١٠]

وينظر (جينت) في دراسة القصة من حيث الزمان إلى (السرعة) وهو الجانب الذي يكشف عن أربعة أنماط من القول:

١- **الحوار**: ويكون فيه زمان القول متساويًا مع زمان القصة.

٢- **التلخيص**: ويحكي فيه الراوي أحداثًا كثيرة من خلال كلمات قليلة.

٣- **الوقفة**: وفيها يتوقف زمن الحكاية تمامًا أو يبطئ، بينما يظل توالي زمن القول كما في الوصف والتحليل النفسي.

٤- **الثغرة**: وفيها يكون زمان الحكاية ممتدا، في الوقت الذي لا يقابله شيء يذكر في زمان القول. [١١]

---

[٩] د. محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف الجزائر – الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط ١، ٢٠١٠ م، ص ٨٨.

[١٠] د. أحمد فؤاد، السرد المعاصر (جماليات ومناهج تجريب)، مكتبة المتنبي، الدمام، الطبعة الأولى، ٢٠١٤ م، ص ١٧٩.

[١١] د. عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصر (الرجل الذي فقد ظله نموذجًا)، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٣م، ص ٦٠ -٦١.

المفارقات الزمنية:

هي الناتجة عن اختلاف زمني القصة والسرد، فلكل روائي ترتيب زمني لأحداث قصته، يختار الأديب ذلك الترتيب بحسب رؤيته للأحداث وأهدافه الفنية منها؛ لذا يستخدم الأديب التقديم والتأخير في الأحداث ومزامنتها للترتيب كي يحقق بها الأهداف المرجوة من رواياته، و يذكر (محمد بوعزة): "تحدث عندما يخالف زمن السرد ترتيب أحداث القصة، سواء بتقديم حدث على آخر، أو استرجاع حدث، أو استباق حدث قبل وقوعه." [١٢]. و قد أوضح (جيرار جينت) أن المفارقات الزمنية : : "تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة..." [١٣]

وتتفق كل الروايات الجديدة في أنها تسعى لكسر مفهوم الزمن قياسًا إلى الشكل المتعارف عليه في الرواية الكلاسيكية، بل يمثل التعامل مع الزمن في الرواية العربية الجديدة أحد ملامح التمرد على سابقتها... حيث كانت الرواية الكلاسيكية تتعامل الزمن إما من البادية إلى النهاية، أو من النهاية إلى البداية (فلاش باك). أو البدء من الحدث المركزي والتحرك بطريقة (القطع المتوازي) إلى الوراء تارة، وإلى الأمام تارة.[١٤]

[١٢] د. محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف الجزائر – الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط ١، ٢٠١٠م، ص٨٨.

[١٣] جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة: محمد معتصم – عبد الجليل الأزدي – عمر حلي، المجلس الأعلى الثقافة، ط ٢، ١٩٩٧ م، ص ٤٧

[١٤] د. محمود الضبع، (الرواية العربية الجديدة – قراءة في المشهد العربي المعاصر)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٠ م، ص ١٠٩.

أولًا: تقنية الاسترجاع:

وهو استعادة ذكر أحداث في الماضي لتوظيفها في أحداث الرواية، أو استعانة السارد من خلال شخصيات الرواية بالماضي لإسقاطات أو إشارات تتناسق والأحداث والأهداف التي يعنيها السارد في روايته. وهو مخالفة لسير السّرد تقوم على عودة الراوي إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق. وهذه المخالفة لخط الزمن تولّد داخلَ الرواية نوعًا من الحكاية الثانوية. ولا شيء يمنع أن تتضمّن الحكايةُ الثانوية بدورها استرجاعًا، أي حكايةً فرعية داخل الحكايةِ الثانوية. [١٥]

يُعد التوقّع مُفارقةُ زمنية تسترجع ماضي اللحظة التاريخية باستعادة حدث أو واقعة تلازم السرد لفتح الباب أمام استدعاء تذكر عملية تُصاحب المَحْكي الأساسي وتدعمه بمَحْكي فرعي، ولهذا يرتبط التوقّع ببُعد منطقي يستغرق زمنًا بمنزلة بُعد مَعرفي لإعادة تقويم الحدث أو ملء الفجوات المَعرفية الناتجة من إغفال الجزئيات أو حذف سيرة حياة في السرد. لهذا فهو وسيلة (واعية ولا واعية) لإعادة تثبيت دور التفاصيل في السرد.[١٦]

فتقول (سيزا قاسم): " يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها. والماضي يتميز أيضًا بمستويات مختلفة متفاوتة من ماضٍ بعيد وقريب ومن ذلك نشأت أنواع مختلفة من الاسترجاع. " [١٧]، ويعد الاسترجاع، أو الفلاش باك Flash black، مصطلحٌ روائيٌ حديث، يعني: الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب. [١٨] ويشكل

[١٥] د. لطيف زيتوني، (مصطلحات نقد الرواية)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٢٠.
[١٦] سعيد علوش، (معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٩م، ص ٥٦.
[١٧] د. سيزا قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤، سلسلة إبداع المرأة، ص ٥٨
[١٨] د. آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٢، ٢٠١٥م، ص ١٠٣.

الاسترجاع الزمني، بالقياس إلى الحكاية التي يندرج فيها – التي ينضاف إليها – حكاية ثانيا زمنيا. [١٩]

ويستنتج الباحث أن كل عودة للماضي تشكل، بالنسبة للسرد، استذكارًا يقوم به لماضيه الخاص وأحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة. وتميل الرواية إلى الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائيًا عن طريق استعمال الاستذكارات لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي. وتحقق هذه الاستذكارات عددًا من المقاصد الحكائية مثل: ملء الفجوات التي يخلفها السرد، الإشارة إلى أحداث سبق للسرد أن تركها جانبًا واتخاذ الاستذكار وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حصل في القصة.. أو العودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير، أو حتى لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية سواء بإعطاء دلالة لما لم تكن له دلالة أصلًا، أو لسحب تأويل سابق واستبداله بتفسير جديد. [٢٠]

يلعب الاسترجاع دورًا محوريًا في الروايات التاريخية، وتتعد استخداماته بحسب السارد وهدف من إسقاطات وإشارات للحاضر والمستقبل، وقد اتخذ من **(ثلاثية غرناطة)** لـ/ **رضوى عاشور** جانبًا ليس بالقليل، ليحقق ما تحدثنا عنه من قبل في أهمية الاسترجاع ووظيفته في بنية السرد الروائي.

فاستخدم السارد تقنية الاسترجاع الزمني منذ الوهلة الأولى في البناء السردي، فيقول عندما عقد ملك غرناطة (أبو عبد الله محمد الصغير) المعاهدة مع القشتاليين، وسمع بها الناس خرج (أبو جعفر) وحيدًا يسرح مسترجعًا آلام الماضي منذ بداية السقوط، يمني النفس بما يعوض عليه حيرته وقلة الحيلة التي لحقت بالأندلس حكامًا وشعبًا. فيقول السارد: " كل شيء يتبدل إلا وجه الله ذو

[١٩] جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة: محمد معتصم – عبدالجليل الأزدي – عمر حلى، المجلس الأعلى الثقافة، ط ٢، ١٩٩٧م، ص ٦٠.

[٢٠] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٢١ – ١٢٢.

الجلال. ألم يعقد السلطان يوسف المول معاهدة أحط وأسوأ مع القشتاليين وجاء السلطان الأيسر وألغى المعاهدة وحاربهم ؟ والسلطان أبو الحسن كان يدفع الجزية ثم توقف عن دفعها ورد رسولهم... "[٢١].

ويفسر الباحث لجوء السارد للإشارة إلى معاهدة السلام بين ملوك قشتالة وآخر ملوك العرب المسلمين في الأندلس إشارة لمعاهدات السلام بين العرب وإسرائيل، والتي بمقتضاها ظلت فلسطين محتلة حتى الآن.

إن الدور الذي لعبه الاسترجاع الزمنى في الحفاظ على الثبات الانفعالي للشخصية الموريسكية أحيانًا يتضح في قول السارد عن (سعد): " وكلما استعاد ما مر به تحضره تفاصيل جديدة أفلتت من ذاكرته فيدهشه أنها أفلتت، ويدهشه أكثر ظهورها المفاجئ... "[٢٢]

و يُعد لجوء السارد إلى الماضي من خلال الشخصية الموريسكية ضربًا هامًا من ضروب تخطي الصعاب، أو توخي الحذر في الحاضر والمستقبل كما يظن الباحث.

أما في حالة طرح الأسئلة على الآخرين وعدم الرد عليها، فإن السارد قد يجد هذا مدخلًا لتذكر أحداث جرت في حياة الموريسكيين مشاركةً للمُتلقي وممهدًا لسماع ذكريات قد أُخفيت، وقد اتضح ذلك في السرد الروائي خلال حكيه عن (نعيم وسعد)، فيقول السارد: "ولما وجد نعيم أن سعدا ليس لديه ما يحكيه، انطلق يحكي له عن نفسه. قال إنه لا يعرف، لا يذكر، لا أمه ولا أباه. كل ما

[٢١] د. رضوى عاشور (ثلاثية غرناطة) الطبعة الرابعة عشر ٢٠١٤م. طبعة دارالشروق- القاهرة. ص ١٢ – ١٣.
[٢٢] انظر المصدر السابق. ص ١٨ – ١٩.

يذكره هو تلك العجوز التي كانت ترعاه، ولما ماتت لم يجد سوى الطرقات، ثم التقى بأبي جعفر....."[٢٣].

وبالنظر في حديث (نعيم) لـ(سعد) يتضح أنه يؤكد له أن ما يمر به اليوم قد سبق له أن عاش فيه هو فيما سبق وكانت لهما نفس النهاية بالوصول ل (أبي جعفر) والعمل عنده، في محاولة (نعيم) لتخفيف الآلام التي يشعر بها (سعد).

وقد جعل السارد استرجاع (نعيم) لذكرياته توثيقًا لفترة زمنية عاشتها الأندلس، فكثيرًا ما جعله السارد يلجأ لذكرياته ومنها: حينما تحدث أحد الجالسين معه عن قرارت قشتاله، فيقول السارد على لسانه: "أنا شاهدت حرق الكتب. كنت صبيا صغيرا أعمل عند أبي جعفر الورّاق... ثم جمعوا الكتب وأحرقوها في باب الرملة. أحرقوا كتبا كثيرة، ولكن الوراقين عرفوا بالخبر قبلها فأنقذوا الكثير من الكتب أيضا..."[٢٤]

والسارد العربي من وجهة نظر الباحث استخدم الاسترجاع الزمني ليبين التطور في الشخصية الموريسكية خلال السرد الروائي، كما جاء على لسان واحدة من نساء الحي خلال مشهد دخول الحمام والاستعداد لمراسم فرح (سليمة)، فيقول السارد على لسان الجارة: "علا صوت إحدى الجارات مذكرة أم حسن بما كان منذ أربعة عشر عاما يوم ولدت سليمة. حملتها بين ذراعيَّ وضممتها إلى صدري، وقلت لك يا أم حسن لو أمد الله في عمري أحممها يوم عرسها.. أتذكرين ؟!"[٢٥]

والرجوع للماضي وذكرياته يعد أحد أنواع الهروب من الحاضر والخوف على المستقبل، وقد تجلى هذا في الشخصية الموريسكية التي حاولت الحفاظ على الموروث الأندلسي: الثقافي

[٢٣] انظر المصدر السابق. ص ٢٠.
[٢٤] انظر المصدر السابق. ص ٢٩٦ – ٢٩٧.
[٢٥] انظر المصدر السابق. ص ٧٧.

والاجتماعي والديني و... إلخ، وتوريثه للأجيال المتعاقبة، وقد بيّن لنا السارد هذا من وجهة نظر الباحث خلال الحوار الذي دار بين (حسن وسلمية) حول مستقبل الأحفاد بعد قرن من الزمان، مما جعل السارد الانتقال بالزمن السردي إلى الماضي وأحداثه، فيقول السارد: "هل تذكر يا حسن يوم ذهبنا أنا وأنت وسعد ونعيم لمشاهدة موكب كريستوبال كولون ؟... راح حسن يستعيد شيئا من تفاصيل ذلك اليوم، وظهرت على وجهه ابتسامة لم تكتمل تماما، فبدت ملامحه موزعة بين حزن وابتسام... "[٢٦].

ورؤية الباحث أن السارد جعل محاولة استرجاع (سليمة) لذكريات الطفولة كان مدخلا للسؤال عن المستقبل، فماذا بعد إحكام قشتالة الحكم على البلاد!، وفرض التنصر والتحدث بالقشتالية وانتزاع كل عادة عربية إسلامية حتى وإن كانت خاصة بالأندلس لا تتبع سوى هويتهم الأندلسية، في إشارة منه إلى قلق الشخصية الموريسكية في الحاضر والخوف من المستقبل في إشارة واضحة منه إلى دخول إسرائيل فلسطين منذ حرب ١٩٤٨ وإلى حاضرنا اليوم ومستقبلها.

يستنتج الباحث أن الاسترجاع الزمني في السرد قد استخدمه الروائي ليعبر به عن مشاعر الحزن ومراجعات للذكريات، فيقول السارد على لسان (مريمة) وقد ضاق بها الحال بعد معرفتها بما حدث من خيانة لقائد الثورة في البشرات وسلطان الأندلس الجديد (محمد بن أمية) وقتله على يد أحد حراسه: "ولدت يوم كان القشتاليون على أبواب غرناطة يحكمون الطوق عليها، والناس جوعى، والزاد شحيح... ولما دخلت دار أبي جعفر فرض القشتاليون على العباد تغيير دينهم،... "[٢٧]، و يستنتج الباحث هنا أن السارد قدم الاسترجاع السردي هنا إشارة منه إلى نهاية الشخصية الموريسكية صاحبة الأمل والحيل والذكاء التي تمثلها (مريمة)، فالرجوع للماضي هنا إشارة لضياع المستقبل وسقوطه

[٢٦] انظر المصدر السابق. ص٢١٣.
[٢٧] انظر المصدر السابق. ص ٣٤١.

وموت الأمل فيه. واستطاع السارد تأكيد فكرة الانتماء للوطن لدى الشخصية الموريسكي من خلال موقف (علي) من البقاء في الأندلس بالرغم من صدور قرار الترحيل، وقد ظهر هذا الاسترجاع من خلال رؤية (علي) لجدته (مريمة) في المنام، فيقول السارد: " تمدد على رمال الشاطئ وأسند رأسه إلى صندوقه. غفا فرأى نفسه في المنام يهبط درجا إلى باطن الأرض... مريمة ؟! كانت غافية على السرير... قام عليّ، أدار ظهره للبحر...، يتمتم: لا وحشة في قبر مريمة! "[٢٨].

يتضح من خلال سوق بعض الأمثلة الدالة على استخدام السارد تقنية الاسترجاع الزمني، أن الساردين للرواية التاريخية يلجأون للماضي لأغراض متعددة كما سبق وذكرتها خلال التحليل، وأن وظائف الاسترجاع قد تتنوع من خلال بنية السرد الروائي وعلاقتها بالحدث وما تتضمنه إشارات وإسقاطات. فتارة يشير الاسترجاع للأحداث التاريخية ذاتها وأثرها في الشخصية الموريسكية، وتارة تحيلنا لإسقاطات على ماضينا القريب في سقوط فلسطين والدول العربية في قبضة الاستعمار، ولعل الوظيفة الرئيسة للاسترجاع هنا هي تناقل صفات الانتماء والحذر والمثابرة والشجاعة و...إلخ، كل ذلك للشخصية الموريسكية والاستفادة من العسرات التي ذلت قدمها أحيانًا.

بالانتقال إلى رواية **(الموريسكي الأخير)** لـ/**صبحي موسى** نستطيع أن نرى المزج بين الماضي والحاضر بصورة أكثر وضوحًا، فقد جعل السارد للاسترجاع دورًا كبيرًا في البنية السردية لروايته؛ حيث انتقل بنا من الحاضر للماضي عبر آلة الزمن في الرواية، فما ظهر في الماضي قبل وخلال سقوط الأندلس من: صراعات على السلطة وصفقات مشبوهة بالخارج لإقصاء أمراء بالداخل واكتساب مكانة اجتماعية و... إلخ، هو ما يشبه الحاضر من تفرق الأمة العربية لا سيما الصراعات داخل كل قطر ممثلًا في مصر وثورة ٢٥ يناير، فاختلاف القوى السياسية في الرؤية المستقبلة واستراتيجيات تنفيذها والاستقواء الغرب لإسقاط نظام سياسي.

[٢٨] انظر المصدر السابق. ص ٥٠١ ـ ٥٠٢

لذلك يستنتج الباحث أن السارد استطاع أن يرسل إشاراته واسقاطاته من خلال ابتداع فكرة (العين الراعية) التي تعد همزة وصل بين الفترتين، كما أنه جعل لها دورًا كشخصية موريسكية عانت من الآلام والاضطهاد في نقل خبرتها للأجيال المتعاقبة من الموريسكيين وصولا لـ(مراد)، فمع اقتصار دورها في الظهور وقت الخطر، إلا أنها تقوم بحماية تلك الشخصية الموريسكية من الانقراض أو ضياع هويتها خلال انخراطها في المجتمعات المختلفة، والاختلاف الزمني بين الماضي والحاضر قد صبغ به السارد ملامح الشخصية كما سُرِدَ فيما سبق، فالحاضر يمثله: (مراد) والذي اتصف بالتردد والخوف والقلق، بينما الماضي يمثله: (محمد بن عبد الله جهور) والذي اتصف بالمغامرة والشجاعة والجرأة في اتخاذ القرارت.

يبدأ السارد في مطلع خطه الزمني الخاص بماضي الأندلس باسترجاع (محمد بن جهور) وحكيه عن موقف (فرناندو) مع (عبد الله بن جهور)، وإظهار اللوم في كلامه، والتذكير بتاريخ حكم العرب المسلمين للأندلس طيلة أربعة قرون، فقد جعل السارد من مشهد اللوم هذا مدخلًا لظهور دور محاكم التفتيش والتي كان همها الأكبر البحث في ضمائر الموريسكيين والحكم عليهم بما يمحو الشخصية الأندلسية. فيقول السارد على لسان (محمد): "كانت محاكم التفتيش بدأت عملها منذ زمن في غرناطة، ولم يكن لقضاتها همٌّ سوى البحث في ضمائر مَن ورثوهم عن آبائهم من المسلمين حتى وإن تنصَّروا على أيديهم، كانوا يبحثون عن دليل إدانة في الزي أو الكلام أو الممتلكات كي يسلبوهم أموالهم وأرواحهم."[٢٩]

ويضيف السارد أن طبيعة عمل محاكم التفتيش في الماضي لم تقتصر على الأندلس قديما فقط، بل تظهر الإسقاطات هنا بما ظهر في حاضرنا من فئة من الناس تصدر أحكامًا على من يخالف الرأي وتبادل اتهامات العمالة ومحاولة إسقاط الدولة لإقصاء المعارضين أو أصحاب الرؤى

[٢٩] صبحي موسى (الموريسكي الأخير) الطبعة الثانية ٢٠١٥م، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة. ص ١٤

المختلفة خلال ثورة ٢٥ يناير. لذلك كان (مراد) يحاول استرجاع سبب اختيار الجد (رزق الله) مصر للاستقرار فيها.

بالإضافة إلى ذلك استطاع السارد أن يربط بين تطور الشخصية الأندلسية قبل السقوط وبعد السقوط وإسقاط هذا الربط على تحول حال المصريين قبل وبعد ثورة ٢٥ يناير فيقول السارد: "تذكر أن جده رزق الله اختار المحروسة مقامًا له لأنه أهلها لم يشغلوا أنفسهم يومًا بلعبة الأديان، أو أنهم كانوا قد تجاوزوا هذا الصراع المرير فقرروا الاحتفاء بالحياة دون انشغال بالرموز." [٣٠]

يستمر الاسترجاع الزمنى طوال الرواية من خلال (العين الراعية) التي تحمل همّ تقويم الأحفاد والحفاظ على ترابطهم، بل وعقابها لمن يخالف أوامرها، فهي لا تظهر إلا وقت الخطر، فيرى الباحث أن شخصية (العين الراعية) التي لجأ إليها السارد تصف حلم الثوار في الخلاص من بقايا النظام.

ويظهر استرجاع (محمد بن جهور) لموقف تحرش (القس مانويل) بأمه (عائشة) التي كانت تحاول حماية زوجها (عبد الله بن جهور) آخر وزراء بني الأحمر من قبضة محاكم التفتيش، فيقول السارد على لسان القس الذي يذكرها بتاريخ عائلتها وما صنعوه بها : "يؤسفني يا عزيزتي أننا سنفتقد عائلتك الكريمة بيننا، وسنستريح مما يقوله بنو جهور كل لحظة عن ملكهم وتاريخ نبلائهم العظيم"، في تلك اللحظة تذكرت ما أتت من أجله، تذكرت أن زوجها المعلَّق على شجرة أمام الكنيسة ينتظر يد الخلاص، وأنه لا وجود لهذا الخلاص إلا في يد هذا القس العفن." [٣١]

[٣٠] انظر المصدر السابق. ص ١٨
[٣١] انظر المصدر السابق. ص١٥

وقد استخدم السارد صورة القس مانويل ليوضح ما كانت عليه الثورة من تحرش القوى السياسية التي حاولت اقتناص فرصتها للوصول للحكم، و من وجهة نظر الباحث أن الأم (عائشة) تمثل قطاع الشباب المصري الذي اتسم بالبراءة في محاولته إيجاد الخلاص من فلول الحكم الفاسد وأدواته. فالتضحية بالنسبة لعائشة ولشباب الثورة غير مضمونة ولكنها محاولة للخلاص والوصول إلى الهدف الأسمى المنشود.

يستنتج الباحث من استخدام السارد لتقنية الاسترجاع الزمني وعلاقته بالشخصية الموريسكية في الرواية العربية تلك الوظائف التي أشرنا إليها فيما سبق من: توجيه وإرشاد وتذكير بأخطاء السابقين التي بسببها تم وأد ثورة البشرات، والفرقة التي كانت سبب دخول الخيانة بين صفوف القادة وقتل المخلصين منهم وتمكن العدو من إحكام السيطرة على الأندلس، فيرى الباحث أنه مع استخدام خطين سرديين في الرواية. إلا أن توظيفهم ليبين السارد امتزاج الحاضر بالماضي للوقوف على أسباب الفشل وزيادة دوافع النجاح في ثورة ٢٥ يناير.

وقد استطاع السياسي والمفكر والأديب/ **حسن أوريد** أن ينقل لنا الصورة التاريخية للشخصية الموريسكية في روايته **(الموريسكي)**، فهو يحاول كأديب ملء الفجوات التي لم يستطع كمؤرخ احتوائها، فاستطاع من خلال استرجاع الأحداث التاريخية ورصد حياة (شهاب الدين أفوقاي) إرشاد وتوجيه الحكام العرب للقضية الفلسطينية وضرورة البعد عن الصراعات الداخلية بين الحكام العرب.

ذكر لنا السارد الاسترجاع الزمني من خلال قصة الحمّالين المتهمين بقتل مسيحي قديم، فقال على لسان (بيدرو): " فمنذ انتفاضة آل الأندلس، أو الموريسكيين في تعبير المسيحيين، في عام ١٥٦٨ بدأت محاكم التفتيش تعمل على فرض نفسها ضد القوى التي تروم الإذعان لواقع الأمر والتي

لم تكن تعد تنصير الموريسكيين أولية... "[٣٢]، فرؤية الباحث أن السارد ذكر سبب بدأ عمل محاكم التفيش ولم يكن ذلك وليد صدفة ولكنه من وجهة نظري إشارة للعنف الذي انتشر ضد الفلسطينين من قبل قوى الاحتلال الغاشم، فالاحتلال دوما يسعى لفرض شخصيته وثقافته من خلال ممارسة سياسة القمع.

تظهر هذه الفكرة من خلال ذكر السارد لكيفية إحراق المتهمين بعد وضع قلنسوات على رؤوسهم، فيرى الباحث إشارة السارد اليهود في فلسطين كدير ياسين وخان يونس وطنطورة و...إلخ. ولعل استخدام السارد هنا لتحقيق وظيفة الإشارة والتوجيه من الماضي للحاضر.

وقد ذكر السارد لأحد بنود الاتفاقية التي عُقدت بين ملوك قشتالة وملوك الأندلس، والذي يلزم ملوك قشتالة بالحفاظ على حرية الأندلسيين دينيًا وثقافيًا و...إلخ، فيقول السارد: "تم الاتفاق بأن الأمراء وأعقابهم وبصفة دائمة وإلى الأبد سيترك الملك أبوعد الله الولاة، والقضاة..."[٣٣]، فالسارد يوضح لنا عقيدة العدو القشتالي بالرغم من التزامه بمعاهدات قد برمها، إلا أن العدو دائما ما يتنصل منها وينقضها، وأكدت الفكرة واقعة تنصير المرأة، فيقول السارد: "رفضت أن تصير نصرانية رغم أنفها. مزّق صراخها البيازين وقلوب ساكنيه..."[٣٤]، في إشارة واضحة من وجهة نظر الباحث إلى العدوان الصهيوني الغاشم والمستمر على فلسطين بالرغم من عقد العرب اتفاقيات السلام.

واستخدم السارد الاسترجاع على لسان (الفراي)[٣٥] موضحًا أثره على الموريسكيين، فيقول السارد: " لقد سمعت في بلنسية وبأذني هاتين، أطفالا يُغَنّون السمرة [٣٦] يهاجمون فيها قيمنا ويمجدون

[٣٢] حسن أوريد (الموريسكي) الطبعة الثالثة ٢٠١٤م، منشورات دار الأمان – الرباط. ص ١٧
[٣٣] انظر المصدر السابق. ص ٢٤ – ٢٥
[٣٤] انظر المصدر السابق. ص ٢٦
[٣٥] " كلمة فراي Fray كلمة اسبانية تفيد الراهب، وقد دأب الإخباريون المغاربة أن يستعملوا كلمة فراي، وجمعها frailes للتدليل، على الرهبان. وقد ارتأيت أن أحتفظ بهذه الكلمة. الكاتب " حسن أوريد (الموريسكي) الطبعة الثالثة ٢٠١٤م، منشورات دار الأمان – الرباط. ص ١٢

زعيم بدعتهم الضالة... حذار! ..." [٣٧]، فالاسترجاع الذي استخدمه السارد على لسان رجل الدين المسيحي خاصة بعد مقتل المسيحي القديم وإلصاق التهمة بالموريسكيين وسيلة من وسائل رجال الكنيسة ومحاكم التفتيش لتنفيذ أغراضهم في محو كل ما هو أندلسي.

ويظهر لنا أن هذا المبرر الذي استخدمته رجال الدين ومحكام التفتيش القشتالية لإبادة الموريسكيين هو نفسه المبرر الذي يستخدمه العدو الصهيوني خلال لإكساب نفسه الحق في إبادة الفلسطينيين، بل ويظهر وكأنه محل اضطهاد من أصحاب الأرض أنفسهم، واستخدم السارد تقنية الاسترجاع لتوضيح أسباب سوء الأمور بين سلطان المغرب (أحمد المنصور الذهبي) وبين (ابنه)، فيقول السارد: "ساءت الأمور بين السلطان وابنه... بدأ الناس يتحدثون عن نمط الحياة المنحل للابن..." [٣٨]، فاستخدام ذلك الإسقاط جائز في الماضي القريب للحدث التاريخي ذاته من وجهة نظر الباحث، فهو يمثل صراع ملوك الطوائف وانفراط عقد دولة الأندلس لدويلات صغيرة، والإسقاط الثاني ما تمر به بعض الدول العربية من سقوط لبعض الحكام ومحاولات الشباب الثورة عليهم كثورة تونس وليبيا و٢٥ يناير في مصر، ولكن مع تباين صفات الحكام والمحكوم. وبالرغم مما ذكرناه من استرجاع إلا إن السارد لم يوليه قدرًا كبيرًا من الاهتمام، ولعل السبب في ذلك هو جعل (شهاب الدين أفوقاي) شخصية رئيسة، بالرغم من أنها لاذت بالفرار بدينها وروحها إلا أنها سعت في الانخراط في البلاط المغربي وهوما ظهر خلال البنية السردية.

---

[٣٦] أصل كلمة Zambra عربي من السَّمر، وكانت رقصة مصحوبة بأناشيد مشهورة لدى الموريسكيين ولاتزال مستمرة إلى الآن بالأندلس كرقصة فقط. " حسن أوريد (الموريسكي) الطبعة الثالثة ٢٠١٤م، منشورات دار الأمان – الرباط. ص ١٣

[٣٧] انظر المصدر السابق. ص ١٣ – ١٤

[٣٨] انظر المصدر السابق. ص ١٠٩

وقد استعان **واسيني الأعرج** في روايته **(البيت الأندلسي)**[٣٩]، بتقنية الاسترجاع ليبين مظاهر الاضطهاد للموريسكيين من قبل محاكم التفتيش، وظهر هذا الاضطهاد في مخطوطات حفظت في هذا البيت في المغرب والذي بناه (غاليليو) بعد هجرته من الأندلس.

يتحدث السارد في الورقة الأولى للمخطوطة عن ظروف اعتقال (سيد أحمد بن غاليليو الرخو) وطرده من حاضرة غرناطة وترحيله إلى منافي وهران بعد موقعة البشرات وتعدي محاكم التفتيش المقدس على حرمة جسده، ولقاؤه مع مالك روحه ومنقذه الكاهن الطيب. (أنجيلو ألونصو)[٤٠]، فيقول السارد: " بدأنا ننزل[٤١] نحو الدرج الموالي وكأننا كنا ننزل نحو أعماق جهنم، زادت الروائح الكريهة الممزوجة برائحة العفونة والرطوبة، قوة وانتشارا... "[٤٢]

فالسارد أراد توثيق أماكن وطرق تعذيب محاكم التفتيش وأثرها على الشخصية الموريسكية من خلال تلك الوثيقة الأولى، وهذا يدل على المعاناة والآلام التي عاشها الموريسكيين منذ السقوط حتى الهجرة. كما ذكر السارد في ورقته الثانية من المخطوطة حديث غاليليو والدون فرناندو دي كردوبا، وحرب البشرات واقتتال الإخوة من بين الموريسكيين والمدجنين، وموت الأمير محمد بن أمية، وخيانة سفن العدوة الأخرى والاستسلام المر.[٤٣]، فيقول السارد: "فحاول بعض مسلمي غرناطة

[٣٩] واسيني الأعرج، (البيت الأندلسي)، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، منشوارات الجمل، بيروت، لبنان.
[٤٠] انظر المصدر السابق، ص ٦٣
[٤١] " وسائل التعذيب وأشكاله المختلفة، حقيقية، وقد ذكرتها جل المصادر التي اطلعت عليها. آخرها ما رواه أحد ضباط نابليون، بعد مرور أربعة قرون على سقوط الأندلس حين أرسل نابليون حملته على أسبانيا، وأصدر مرسومًا سنة ١٨٠٨م بإلغاء دواوين التفتيش المقدس في المملكة الأسبانية. وأظهر كل أفعالها المشينة والممارسات التي ظلت تتبعها على مدار قرون عديدة ذهب ضحيتها الآلاف من الناس بأبشع الطرق وأكثرها وحشية. (ماسيكا) "، واسيني الأعرج، (البيت الأندلسي)، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ص ٦٨
[٤٢] انظر المصدر السابق. ص ٦٨: ٧٦
[٤٣] انظر المصدر السابق. ص ٧٧

الاحتجاج ببنود اتفاقية التسليم... سحق المعارضين في حي البيازين تحت سنابك الخيول. وتحول الحي إلى ساحة للموت... " [٤٤]،

ولجوء السارد للاسترجاع الزمني في البنية السردية للرواية ليعبر عن إسقاطات الفرقة والشتات في مجتمعنا العربي الحال والتي بدأت بهزيمة العرب في حرب ١٩٤٨ وسيطرة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية مرورًا بمعاهدة السلام الإسرائيلية العربية. وكما أوضح السارد أن مقتل الموريسكيين لم يكن على يد القشتاليين فقط بل زادتهم المعاناة ملاقاة نهايتهم على يد القراصنة واللصوص و... إلخ، فيقول السارد: " أن الكثير من الموريسكيين قتلوا فقد لأنه كان يبدو عليهم بعض الغنى، أو كانوا يحملون قليلا من الذهب الذي سحبوه وراءهم ليعيشوا به في أرض لم يكونوا يعرفون منها إلا اسمها. " [٤٥].

يستنتج الباحث أن السارد استطاع أن يعبر عن معاناة الشخصية الموريسكية من خلال استرجاع الأحداث التاريخية في إطار البنية السردية لروايته، كما أنه جعل من البيت الأندلسي وتتبع تاريخ بنائه وسيلة لهذا الاسترجاع.

واستخدم أيضا **إبراهيم أحمد عيسى** في رواية **(البشرات النبضة الأندلسية الأخيرة)** الاسترجاع الزمني ليوضح ما لحق بالموريسكيين من آثار، فيقول على لسان (غارسيه بن الوليد) وهو يتأمل حال غرناطة ونهر حدرة، ومسجدها الذي تحول لكنيسة: "راح يتذكّر كلّ تفاصيل ذلك اليوم برغم حداثة عمره آنذاك إلّا أنّ ذاكرته لم تخنه يومًا فمازال يذكر موكبهم الذي عبر بوابات غرناطة بخيلاء المنتصرين..."[٤٦]. فالاسترجاع هنا هو بمكانة حفظ ملامح غرناطة قبل السقوط الأخير لها

[٤٤] انظر المصدر السابق. ص ٧٩: ٨٩
[٤٥] انظر المصدر السابق. ص ٢٨١ - ٢٨٢
[٤٦] إبراهيم عيسى (البُشْرات) الطبعة الأولى ٢٠١٤، طبعة إبداع للنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة. ص ١١ - ١٢

وتنصيرها، أو هو محاولة للحفاظ على تلك الصورة التي عمل المستعمرين على محوها، ويعد الاسترجاع بمثابة خزانة للذكريات يستدعيها السارد على لسان الشخصية ليجد ليملأ بها فرغات سردية أو لتوثيق أحداث أو لمشاركة تلك الأحداث للواقع الحالي واستنباط أخطاء السابقين وتفاديها، فيقول السارد على لسان (عبد الرحمن) في موقف إنقاذه الفتاة من قبضة (ريكاردو): " ردَّد عقله تلك الأبيات لأبي بقاء الرُّنديّ بسرعة حين رآها... "[٤٧]، فمحاولة (عبد الرحمن) استرجاع تلك الأبيات بصورة تلقائية تعبر كما يرى الباحث عن الارتباط اللإرادي بالموروث الثقافي الأندلسي بالرغم من إحكام حكام قشتالة قبضتهم في محوه. وبالإضافة إلى ذلك جعل السارد التذكير واسترجاع بزمن الأندلس وانتشار الحمامات العامة وسيلة للدفاع عن طهارة الموريسكيين، فيقول السارد على لسان (الحبقي) ردًا على قول الماركيز (دي مندخار) الذي زعم مقتل (ريكاردو) على يد خادمه الموريسكي ووصفه له بالقذر: "إنْ كُنّا قذرين فَسَلْ حمامات الأندلس عن طهارتنا." [٤٨]

وقد حاول السارد أن يضع الأمل مكانًا للألم الذي أحل على أهل غرناطة والموريسكيين بصفة عامة، فيقول على لسان (عبد الرحمن) الذي جلس يحكي لعمته (صفية) و(ثريا): "أخبرهم أن أولى المعارك الكبرى قرب جسر طبلاته وكيف دمَّره المسلمون حتى لا يعبر جيش دي مندخار..." [٤٩]، وبينما الأمل معقود على لسان الموريسكي (عبد الرحمن) إلا أن السارد أراد أن ينقل لنا أثر تلك الحروب التي خاضها الأندلسيون ضد ملوك قشتالة والمعاناة التي عاشها الموريسكيون، فيقول السارد على لسان عمته (صفية): "قصَّت عليه ما يفعله النصارى بهم في الأسواق والتحرُّش بالكلمات واللكمات، سردت له قصة ماريا وزوجها اللذيْن أُحرِقا في ساحة باب الرملة..." [٥٠]

[٤٧] انظر المصدر السابق. ص ٤٢
[٤٨] انظر المصدر السابق. ص ٤٩
[٤٩] انظر المصدر السابق. ص ١١٨ - ١١٩
[٥٠] انظر المصدر السابق. ص ١١٩

يستنتج الباحث أن السارد استرجع لحظات الأمل متبوعة بلحظات الألم والمعاناة ليبين لنا معاناة الموريسكيين التي تزداد كلما حاولوا الخلاص من قبضة القشتاليين، ولعل سبق حدوث الوقائع تاريخيًا أكسب البنية السردية طابع اليأس، فكل المحاولات التي قام بها الموريسكيون في الحفاظ على بلادهم وتراثهم آلت إلى الفشل وزيادة المعاناة لهم.

و يكتفي الباحث بالأمثلة السابقة التي عبرت عن تقنية الاسترجاع المستخدمة في أغلب الروايات بنسب متفاوتة، فاعتماد بعض الساردين على تلك التقنية كما رأينا مثلا في (ثلاثية غرناطة) و(الموريسكي الأخير)، ولكن هذا لا يغفل أهمية تلك التقنية في الرواية التاريخية، وقد استطاع الساردين توظيف تلك التقنية بطريقة مناسبة لكل بنية سردية، ومنهم من زاد في إسهابه كما حدث في (ثلاثية غرناطة) و(الموريسكي الأخير)، ومنهم من اقتصر على بعض الاسترجاعات وتوظيفها بما يتناسب والبنية السردية. ولكن نستنتج في النهاية أن استخدام الساردين لتلك التقنية جاء معبرًا عن تلك الفترة الدقيقة في حياة الأندلسيين، فنجد التوثيق والشرح للآثار الواقعة على الموريسكيين جراء المقاومة والثورات كما سبق في التحليل، ونجد أيضًا الإسقاطات والإشارات للأخطاء في محاولة للتعلم منها في حاضرنا ومستقبلنا.

ثانيًا: تقنية الاستباق:

هو مخالفة لسير السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكرِ حدثٍ لم يحنْ وقتُه بعد. [٥١] لعل أيسر التعريفات النقدية للاستباق أنه: "القفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التى وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية." [٥٢].

تُعد تقنية الاستباق هي المقابلة لتقنية الاسترجاع الزمني في البنية السردية إلا أنها لم تحظى بنفس مساحتها في الرواية، فيقول عمر عيلان: "تتميز الاستباقات والاستشرافات بطابعها المستقبلي التنبئي، وتتميز بضآلة حضورها في النصوص السردية المعاصرة، باستثناء ربما الكتابات السردية السير – ذاتية Auto Biographique)". [٥٣]، ولعل رؤية / عمر عيلان في قلة استخدام تقنية الاستباق في البنية السردية نابعة من الهدف من الرواية.

فالرواية إن فقدت التشويق والإثارة إلى جانب عناصرها البنيوية الأساسية فإنها ستصبح جسدًا بلا روح، وهذا ما أكدته / سيزا قاسم: " فهذه التقنية تتنافى مع فكرة التشويق التي تكوّن العمود الفقري للنصوص القصصية التقليدية التي تسير قدما نحو الإجابة على السؤال "ثم ماذا؟" وأيضا مع مفهوم الراوي الذي يكتشف أحداث الرواية في نفس الوقت الذي يرويها فيه ويُفاجأ مع قارئه بالتطورات غير المنتظرة" [٥٤]، ولم يكن هذا السبب الوحيد لقلة استخدامه، ولكن صدق الأحداث في البناء السردي ينبع من وقوعها بالفعل، وقد ذكر/ حسن بحراوي: "ولعل أبرز خصيصة للسرد الاستشرافي هي كون

[٥١] د. لطيف زيتوني، (معجم مصطلحات نقد الرواية)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ص ١٥
[٥٢] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٣٢.
[٥٣] عمر عيلان، (في مناهج تحليل الخطاب السردي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (٢)، ٢٠٠٨م، ص ١٣٣
[٥٤] د. سيزا قاسم، بناء الرواية " دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ "، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤م، سلسلة إبداع المرأة، ص ٦٥

المعلومات التي يقدمها لا تتصف باليقينية، فما لم يتم قيام الحدث بالعل فليس هناك ما يؤكد حصوله، وهذا ما يجعل من الاستشراف، حسب فينريخ، شكلًا من أشكال الانتظار." [٥٥]

وعلاوة على ذلك يظهر لنا الاستباق بمصطلح التطلعات والاستشرافات الزمانية كوسائل لتقديمه، وقد ذكر/ حسن بحراوي: "تعد التطلعات Anticipations والاستشرافات الزمنية Prolepses temporelles عصب السرد الاستشرافي ووسيلته إلى تأدية وظيفته في النسق الزمني للرواية ككل. وعلى هذا المستوى تعمل هذه الاستشرافات بمثابة تمهيد أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الاعداد لسردها من طرف الراوي فتكون غايتها في هذه الحالة هي حمل القارئ على توقع حادث ما أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات" [٥٦].

والحكاية بضمير المتكلم أحسن ملاءمة للاستشراف من أي حكاية أخرى، وذلك بسبب طابعها الاستعادي المصرح به بالذات، والذي يرخّص للسارد في تلميحات إلى المستقبل، وهذه التلميحات تعد جزءًا من دوره نوعًا ما.[٥٧]

وقد أوجز النقاد كثيرا من وظائف الاستباق فيما يلي:

١- تعمل الاستباقات الأولية في النص بمثابة تمهيد وتوطئة لما سيأتي من أحداث رئيسة وهامة، وبالتالي تخلق لدى القارئ حالة توقع وانتظار وتنبؤ بمستقبل الحدث والشخصية.

٢- قد تكون الاستباقات بمثابة إعلان عن حدث ما أو إشارة صريحة انتهى إليها الحدث، فيكشفها الراوي للقارئ.

---

[٥٥] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٣٢ – ١٣٣

[٥٦] انظر المصدر السابق. ص ١٣٢.

[٥٧] جيرار جينت، (خطاب الحكاية – بحث في المنهج)، ترجمة / محمد معتصم – عبد الجليل الأزدي – عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٩٧ م، ص ٧٦

٣- تعد مشاركة القارئ للنص من أبرز وظائف الاستباق، إذ يوَجَّه انتباهه لمتابعة تطور الشخصية والحدث من خلال الاستشرافات، كما يساهم في بناء النص من خلال التأويلات والإجابة على تساؤلات يطرحها "ثم ماذا بعد"، "ولماذا حدث".

٤- تلقى الاستباقات الضوء على حدث ما يعينه، لما يحمله من دلالات عميقة يمكن تفجيرها أمام القارئ من خلال تقنية الاستباق.

٥- إن الإنباء بمستقبل حدث ما من خلال الإشارات والإيحاءات والرموز الأولية، تمنح القارئ إحساسًا، بأن ما يحدث في داخل النص من حياة وحركة وعلاقات، لا تخضع للصدفة، ولا يتم بصورة عرضية، وإنما يتملك الراوي خطة وهدفًا يسعى إلى بلورتها في النص.[٥٨]

ونبدأ برواية **(الموريسكي)** لـ**(حسن أوريد)** الذي أراد أن ينقلنا سريعًا إلى مأساة الموريسكيين، فقد بدأ بمشهد قتل أحد المسيحيين القدامى بالأرباض، أقحمتنا الرواية منذ اللحظة الأولى في الأحداث، فالجثة مقطوعة الرأس وسرعان ما مالت الاتهامات إلى بعض الحمّالين من أهل الأندلس – الموريسكيين، والأحداث تتوالى وكأن المستعمر عثر على ملاذه في دماء الأندلسيين، فيقول السارد على لسان الأب (دييغو) ناطقًا بالعربية: "ثم أردف بالعربية، وبصوت خفيض، وهو يرمق الباب ليتأكد إن كان مغلقًا، مستشهدا بآية قرآنية: لله الأمر من قبل ومن بعد".[٥٩]

أراد السارد توضيح ما ستحيلنا إليه الأمور من معاناة الموريسكيين جراء وقوع الحادثة، كانت تلك الحادثة بوابة تؤدي لهلاك الموريسكيين، فأصابع الاتهام تتجه إليهم، مما جعل الأب (دييغو) يتوخى الحذر في كل تصرفات أهل بيته تجنبًا لمخاطر تنبأ لها بعد ما حدث من جريمة قتل. وظهر

[٥٨] د. مها حسن القصراوي، (الزمن في الرواية العربية ١٩٦٠ – ٢٠٠٠م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ٢٠٠٤م، ص ٢٠٨ – ٢٠٩.

[٥٩] حسن أوريد (الموريسكي) الطبعة الثالثة ٢٠١٤م، منشورات دار الأمان – الرباط. ص ٨

هذا في قول السارد على لسانه مخاطبًا الأم (فاطمة) والأبنة (زهرة): " فاطمة، حَضِّري لنا المرق بدون كسكس، الكسكس قد يفضحنا، أنتِ يا زهرة، امسحي الصليب بخرقة، إنه مغطى بشبكة عنكبوت، لمِّعي كل الأيقونات. يمكن أن يَفِد علينا الزوار في أية لحظة " [٦٠]. وبالإضافة للحذر والخوف الشديد إلا أنه استخدم تقنية الاستباق عن يقين بجزاء الله وتأكيدًا على تمسكه بالإسلام، فيقول السارد على لسانه: "رد والدي: سيُجازي الله الصابرين على صبرهم كما ورد في الكتاب العزيز."[٦١]، وقد عبر السارد على لسان الفراي في القداس عن مدي المعاناة التي ستلقى على كاهل الموريسكيين على إثر جريمة القتل، فيقول السارد: " فإنهم سيتجاوزوننا من حيث العدد. وماذا سيبقى من أرضنا ومن ديننا إن بدونا مذبذبين إزاء حماستهم..."[٦٢].

ومن هنا يمكن القول إن استخدام السارد لتلك الكلمات على لسان رجل الدين المسيحي هي بمثابة تحفيز للمسيحيين والحكام القشتاليين لزيادة الاضطهاد ضد الموريسكيين، ولذلك فإنه يعد نوعًا من أنواع استباق زمني لألوان المعاناة والعذاب الذي سيقع على الموريسكيين فيما بعد. وهذا الأمر قد ملأ الموريسكيين بالخوف والتوتر فأمرهم سينكشف اليوم أوغدا. فمع الحذر الشديد للأب (دييغو) إلا أنه يعلم أن أمر العائلة سينكشف يومًا والسبب تمسكهم بعاداتهم ودينهم حتى وإن كان سرًا، فيقول السارد: "كان والدي مشغول البال، لأن الأمر سينكشف في النهاية. بلغت أختي زهرة ثمان عشرة سنة وهو سن الزواج. ما العمل إن تقدم لخطبتها مسيحي أصيل ؟..." [٦٣].

فالسارد استطاع أن يوظف تقنية الاستباق على قلتها في النص السرد وبنيته ليعبر بها عن معاناة الموريسكيين، والتخوف الذي يتملكهم جراء وقوع أية أحداث عامة، فقد يستخدمها رجال الدين

[٦٠] انظر المصدر السابق. ص ١١
[٦١] انظر المصدر السابق. ص ١١
[٦٢] انظر المصدر السابق. ص ١٥
[٦٣] انظر المصدر السابق. ص ٢٢

المسيحي ومحاكم التفتيش المقدسة في شن حملات تعذيب وقتل للموريسكيين في محاولة لتطهير العرق القشتالي من أولئك المسيحيين الجدد.

وقد لجأ إلى تقنية الاستباق حسن أوريد في روايته (البشرات النبضة الأندلسية الأخيرة) منذ مطلع الرواية، من خلال أثر أوامر (فيليب الثاني) على الموريسكيين والتي فيها نقض لكل المعاهدات المبرمة مسبقًا، فيقول السارد واصفًا أثر القرارات على الموريسكيين: " كانتْ كلماتُه تقتلع القلوب مِن الصدور؛ فقد زاغتْ عيونٌ ودمعتْ أخرى حاول أصحابُها ألّا يراها الجنود الذين راحت عيونهم ترمُقُهم بتحفُّزٍ كنسرٍ ينتظر سقوط محتضرٍ ميتًا..." [٦٤]

ويبين لنا السارد أثر القرارات على الموريسكيين الذين حاولوا بعد فض الجمع أن يطمئن كل منهم قلبه ولكن دون جدوى، فكلهم يعلم المصير المنتظر. وقد أكد السارد فكرة الخوف الساكن قلوب الموريسكيين، فيقول السارد: "شش! اسكتْ لا تنطق العربية... لا تخفْ يا أبي، فالقرار سينفّذ خلال ثلاث سنواتٍ وليس الآن..." [٦٥]

استخدم السارد الاستباق في بنية السرد الروائي ليوضح التهديدات وآثارها على نفوس الموريسكيين، فلما سأل (عبد الرحمن) عن اسم فارس قشتالي كان مزهوًا بنفسه يجر خلفه فتيات أندلسيات بدا عليهن ملامح الإعياء والكدمات، فرمقه الرجل المسيحي العجوز متباه بابن دينه متوعدًا (عبد الرحمن)، فقال السارد على لسان العجوز الذي أراد أن يعرفه بالفارس: "إنه الدون ريكاردوجنيور، الذي سيقتلكم أيها الموريسكيّ الحقير..." [٦٦]، ولما كانت الحرب على أشدها بين المقاومة الموريسكية والجيوش القشتالية، كان الموريسكيون يعلمون شدة ما سيقابلونه محاولين الاستعداد له والخوف الأمل

[٦٤] إبراهيم عيسى (البُشْرات) الطبعة الأولى ٢٠١٤، طبعة إبداع للنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة. ص ٩
[٦٥] انظر المصدر السابق. ص ١٣
[٦٦] انظر المصدر السابق. ص ٢١

يمتلكهم، فيقول السارد على لسان (محمد بن الحسن الرندي) ابن عمة (عبد الرحمن) لأحد البحارة: "اليوم سنكون على موعدٍ مع الاعداء، استعدْ يا يحيى"[٦٧]، في إشارة من السارد من وجهة الباحث على صعوبة الحرب، ولكن السارد أراد أن يبين حنكة وذكاء الموريسكيين في اختيار الأوقات المواتية لهم في اقتناص الانتصارت على الجيش القشتالي، وتمسك الموريسكيين بحلم العودة للوطن والأهل، فقال السارد على لسان الريس (مأمون) و(محمد) خلال الاستعداد للغارة: "لعلّ تلك الليلة المُمطرة لصالحنا، فمع تلك الأجواء الباردة ستكون الحامية مسترخيةً أمام النيران لا يلقون بالًا لما سيحدث... أتمنى أنْ ننتهى من تلك الغارات سريعًا ويأتي وقت الحرب الحقيقية... كم أتمني رؤية أمي... قريبًا سيأتي المدد مندولتنا العلية..." [٦٨].

وظهرت المرارة واليأس على لسان (عبد الرحمن) من محاولات الوفود الأندلسية التي اجتمعت مع (فيليب) ملك قشتالة، فقال السارد على لسان (عبد الرحمن): "لن يفعلوا شيئًا كالعادة، سيذهبون ويعودون دون أيّ جديدٍ يُذكَر، وإن أفلحوا قد يؤجلِّون تنفيذ القرار مقابل المال. وكما تعلم، بمُجرّد حصولهم على أموالنا سينكُثون بعهدهم. " [٦٩].

واستعان السارد بالاستباق الزمني في محاولة (عبد الرحمن) وعمته (صفية) إيجاد حل وصفة شرعية لبقاء الفتاة التي أنقذها (عبد الرحمن)، فيقول السارد على لسان (صفية) التي حاولت أيضًا أن تطمئن الفتاة: "سينتقم الله منهم يا بُنيّتي، لا تبكي يا حبيبتي... قاطعها عبد الرحمن قائلًا: أعرف البقية! ستحتاجين أوراقًا ثبوتيةً لكي تتمكني من البقاء هنا." [٧٠].

[٦٧] انظر المصدر السابق. ص ٢٣
[٦٨] انظر المصدر السابق. ص ٢٣
[٦٩] انظر المصدر السابق. ص ٣٤
[٧٠] انظر المصدر السابق. ص ٥٢

وقد يكون الاستباق محاولة من السارد لبث الطمأنينة والثقة والحذر كما ذكرنا فيما سبق للشخصية الموريسكية، فيقول السارد عن حديث (ابن جهور) و(عبد الرحمن): "قال ابن جهور: سَنُسْنِدُ لك عمليةً بالغة الخطورة، قد لا تعود منها، فعليك الحذر، فجواسيس الديوان في كلِّ مكانٍ. قال عبد الرحمن بثقةٍ: أدعوا الله تعالى أن يوفّقني لهذا العمل..."[٧١]، ولعل التخاذل الذي وُجد من بعض الموريسكيين الذين ارتضوا بحياة الذل والمهانة جعل السارد يستدعي تقنية الاستباق معبرًا عن المستقبل المنتظر لهم جراء تخاذلهم لنصرة الحق، فيقول السارد: "كان مخطط محمد بن أمية الذي أعدَّه مهددًا بالفشل بعد ما حدث في قيدار... الله الله فيكم يا أهل البيازين، الأندلس تناديكم، فهل من مستجيبٍ، الثورة قامت في البشرات فهل مِن مُلَبٍّ ؟؟!!... إن تخاذلوا اليوم لنصرة الحق، فغدا موعدهم مع الذل..." [٧٢]

ولما كانت الخيانة مآلها الفرقة والهزيمة، فكان الاستباق وسيلة لتوضيح تلك النتيجة، فيقول السارد على لسان (صفية) والتي تنبأت بمقتل (ابن عبو) بسبب دخول الخيانة ووصيتها لهم بالتماسك: " قالت صفية بقلق – إذن السلطان الجديد سيلقى نفس المصير سالِفِه... ولكنّ يا أبنائي، إذا ما دخلت الخيانة إلى صفونا فاعلموا أنّ النصر لن يأتي. ما عليكم سوى أن تتماسكوا وتتكاتفوا وتكونوا صفًا واحدًا. " [٧٣] ومن خلال ما ذكرناه من أمثلة للاستباق، فيتضح لنا أن السارد استطاع أن ينجو بالبنية السردية من شباك الملل والرتابة، وأن يختلق باستخدام تقنية الاستباق مسارًا دراميًا اتسم بالإثارة والتشويق، دون تكلف أو إسهاب.

[٧١] انظر المصدر السابق. ص ٦٦
[٧٢] انظر المصدر السابق. ص ١١٠ - ١١١
[٧٣] انظر المصدر السابق. ص ١٨٤ – ١٨٥

وقد استخدمت (**رضوى عاشور**) في (**ثلاثية غرناطة**) تقنية الاستباق[٧٤]، ويكتفي الباحث هنا بإيجازها، واتضح ذلك منذ بداية الرواية فرؤية (أبي جعفر) الوراق لتلك الفتاة العارية تمشي في جنح الليل في شوارع البيازين، ومحاولة (أبي جعفر ستر عوراتها دون جدوى، وصولا للعثور على جثتها عارية تطفو على صفحة النهر، والتي رآها الباحث أنها تمثل الأندلس، وما سينزل بها من خراب ودمار نتيجة العدوان القشتالي وقرارته الصارمة، وضياع كل محاولات الإنقاذ لها، ومحاولات (أبي جعفر) فيما بعد بحفظ ملامح الأندلس، في نظرة مستقبلية لتغير حالها على يد المستعمر، كما قام (أبو جعفر) ورفاقه من الوراقين بحفظ التراث وإخفائه في المنازل القديمة والكهوف والجبال، خوفًا على حضارة الأندلس من الضياع، وتواترت الأحداث حتى وصلت لاستباق الموريسكيين خطوات قشتالة في محاولة تحصين مدينتهم جراء ما حدث، فقد هجم مجموعة من الشباب الأندلسيين على مجموعة من رجال قشتالة حاولوا الاعتداء على فتاة أندلسية وموت أحدهم، كما استعان السارد بفكرة (المنام) والتنبؤ بما يتحمله الأيام، ومحاولات (مريمة) و(أم يوسف) لتفسير الحلم الذي رأته مريمة وتأويله لأمل قد ينبعث في النفس الموريسكية من جديد، وبالرغم من استخدام (رضوى عاشور) لتقنية الاستباق إلا أنها لم تنل المساحة التي تركتها لتقنية الاسترجاع.

واستنتج الباحث أن استخدام الساردين لتقنية الاستباق جاء في نطاق البنية السردية دون إحداث خلل فيها، فقد استطاع الساردون الاستفادة من وظائف الاستباق مثل: التمهيد والتوطئة والتنبوء والإعلان ومشاركة القارئ للنص و... إلخ، وبالرغم من قلة استخدام الاستباق إلا أنه أوضح لنا أحداثًا تواترت خلال القصة دون فقدها لعنصر التشويق والإثارة.

[٧٤] د. رضوى عاشور (ثلاثية غرناطة) الطبعة الرابعة عشر ٢٠١٤م. طبعة دار الشروق- القاهرة. ص ٨ – ١٠ – ٢٧ – ٢٨ – ٤٨ – ٤٩ – ٥٥ – ٥٦ – ٥٧ – ٦٥ – ٢٤٩ – ٢٥٠ – ٢٥١ – ٢٥٣ – ٢٥٤ – ٢٥٥

ثالثًا: تقنية التزامن:

التزامن (الآنية)؛ حيث يكون زمن القول معاصرًا لزمن القصة ويكون ذلك في حال الحوار. [٧٥]

يُلاحظ في رواية **(ثلاثية غرناطة)** [٧٦] للكاتبة **(رضوى عاشور)** حرصها على استخدام تقنية التزامن وتوظيفه، حيث استطاعت من خلاله ربط الأحداث بعضها ببعض من خلال وصف مكان بعيد، أو نقل أخبار، أو الربط بين الماضي والحاضر، وقد ظهر هذا الحرص من خلال كثرة المقاطع الحوارية بين الشخصيات سواء كانت موريسكية (رئيسة أوثانوية)، أو بين الشخصيات الموريسكية والغير موريسكية.

استطاعت الساردة أن تنقلنا إلى زمن الحوار نفسه واستحضار صورته في الحاضر، وقد ظهر هذا في أحد أهم المقاطع الحوارية (مشهد محاكمة سليمة بتهمة الهرطقة والسحر والذي اتخذ عددًا كبيرًا من الورقات لتكفي المدة الزمنية للمحاكمة وسماع الأقوال؛ فقد بدأت حوار المحاكمة [٧٧]من الصفحة ٢٢٨، ثم واصلت المحكمة استجواب سليمة وسماع أقوالها حتى الحكم عليها في الصفحة ٢٤٥، ظهر من خلال تلك الصفحات حوار رئيسي بين (سليمة) وهيئة المحكمة القشتالية، وتتوسطها بعض الحوارات قصيرة الحجم بين (سليمة ونفسها) مع طرحها بعض التساؤلات، وبين (مريمة والحفيدة عائشة)، وكما سبقت سالفًا استعانة السارد بهذا الزخم الحواري والتزامني سوف يوضح لنا الجدول التالي إحصائية نسبية للحوار سواء طال أم قصر، مع الغير أو مع النفس.

---

[٧٥] انظر: د. عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة (الرجل الذي فقد ظله نموذجًا)، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر ط١، ١٩٩٣ م، ص ٦١،٦٣، وانظر أيضًا: د. سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ٥٨، ص٦٦

[٧٦] د. رضوى عاشور (ثلاثية غرناطة) الطبعة الرابعة عشر ٢٠١٤م. طبعة دار الشروق- القاهرة

[٧٧] انظر المصدر السابق. ص ٢٢٨: ٢٤٥

ثلاثية غرناطة			
الصفحات	١- غرناطة	٢- مريمة	٣- الرحيل
	من ص(١): ص(٢٤٥)	من ص(٢٤٨): ص(٣٩٨)	من ص(٤٠٠): ص(٥٠٢)
المقاطع الحوارية	٩٣ مقطعًا	٧١ مقطعًا	٣٧ مقطعًا

ومع ذلك فإن ثلاثية غرناطة، امتلأت بالمقاطع الحوارية سواء المختلفة في (الطول والقصر)، بين الشخصية الموريسكية ونفسها، أو بين الشخصية الموريسكية وغيرها، في محاولة لجذب انتباه القارئ ومعايشته لزمن القصة وأحداثها الروائية.

وعلى نفس النهج صارت رواية **(البشرات)** [٧٨] لـ/ **إبراهيم عيسى**، والذي اتخذ نفس النهج في كثرة استخدامه للحوار وفي ظني لجأ إليه ليعبر عن الأحداث بشكل فيه مشاركة بين القارئ وشخصيات قصته، واستحضار صورة الأحداث وتطورها لزمن القارئ، فقد بلغت الرواية سبعة فصول في تمام مائتي وخمس وأربعين صفحة، وإلينا هذا الجدول الإحصائي معبرًا عن نسبة تقريبية لعدد المقاطع الحوارية وقد غلب عليها الطول.

البشرات النبضة الأندلسية الأخيرة	
الفصول والصفحات	المقاطع الحوارية
بلغت سبعة فصول في مائتي وخمس وأربعين صفحةً	بلغت أربعة وثمانين مقطعًا حواريًا

ومن تلك المشاهد الحوارية، ما جري من حوار بين (ثريا) و(عائشة)، ومحاولة الأولى أن تمنع الأخرى من خوض الحرب، ثم انتقال الحوار بين (عائشة) و(مأمون) في نفس الهدف وهو

[٧٨] إبراهيم عيسى (البُشْرات) الطبعة الأولى ٢٠١٤م، طبعة إبداع للنشر والتوزيع والترجمة - القاهرة

محاولة منع (عائشة) من المشاركة في الحرب ضد قشتالة، فقد بدأ الحوار من صفحة ١٦٠ وانتهى في صفحة ١٦٤، وبالرغم من ذلك خاضت الحرب مع الرجال كفارس أندلسي.[٧٩]

وبمقارنة تلك الروايتين برواية **(الموريسكي)** [٨٠] **لـ/ حسن أوريد**، والتي بلغت صفحاتها المائتين وسبع وأربعين صفحة، نجد أن الحوار والتزامن الزمني قد اتخذ مستوى متوسطًا مقارنة بنسبة الحوار في الروايتين السابقتين في التحليل، ولكن آثر حسن أوريد المقاطع الحوارية الطويلة في معظم مشاهد القصة، ويرى الباحث أن السارد قد لجأ لهذا ليعوض توسطه في استخدامه للتزامن.

والجدول التالي يبين العدد التقريب للمقاطع الحوارية سواء القصيرة أو الطويلة:

الموريسكي	
الفصول والصفحات	المقاطع الحوارية
بلغت ستة فصول في مائتي وسبع وأربعين صفحةً	بلغت اثنين وخمسين مقطعًا حواريًا

وقد ظهرت المقاطع الحوارية الطويلة بكثرة ومنها: ما جاء من حوار [٨١]بين (بيدرو) وأخته (زهرة)، وقد بدأ الحوار في صفحة ٣٩ وانتهي في صفحة ٤٣، وكان الحوار حول هويتهم الدينية بين الإسلام والمسيحية.

ويستنتج الباحث أن السارد العربي جعل لتقنية التزامن أو الحوار دورًا كبيرًا في بنيته الروائية، فلم يقتصر على سرد الأحداث على لسان الراوي فقط، بل انتقل بنا إلى معايشة الأحداث التاريخية لسقوط الأندلس وما تضمنتها من آلام من خلال من خلال إفراد مساحة حوارية بين شخصيات القصة.

[٧٩] انظر المصدر السابق. ص ١٦٠: ١٦٤
[٨٠] حسن أوريد (الموريسكي) الطبعة الثالثة ٢٠١٤م، منشورات دار الأمان – الرباط.
[٨١] انظر المصدر السابق. ص ٣٩: ٤٣

الخاتمة

في نهاية هذا البحث يستنتج الباحث أن الساردين استطاعوا توظيف الشخصية الموريسكية خلال بنية الزمن الروائي بما يتلاءم والأحداث التاريخية، ولم يكن التوظيف من وجهة نظر الباحث لتوثيق تلك الحقبة الزمنية التي مرت بها الأندلس العربية آنذاك، ولكن التوظيف جاء لإظهار صور الاضطهاد وأثره على الشخصية الإنسانية بشكل عام على مر العصور، فالصرخة الأندلسية ومحاولات توظيف الشخصية الموريسكية ما هي إلا جرس إنذار للتعبير عن الآثار المترتبة عن هذا الظلم والاضطهاد.

وقد لجأ السارد العربي المعاصر للمفارقات الزمنية والتي تعني بانحراف زمن السرد، ليفسح المجال أمام القفز باتجاه الخلف أو الأمام، كما تدل على الاضطرابات النفسية والدينية والاجتماعية والثقافية التي فُرضت.

من هنا يمكن القول أن الزمن كبنية جمالية تلجأ إليها الرواية، وما يحمله من مفارقات زمنية وطريقة استخدامها خلال بنية النص الروائية توضح مستوى العلاقات القائمة، بين الشخصيات وما بها من آلام وأوجاع وبين عناصر بناء الرواية، مما يبين النمط العام للرواية، وقدرة السارد على إحكام بنية روايته.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر

١. إبراهيم عيسى، (البُشْرات النبضة الأندلسية الأخيرة)، طبعة إبداع للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤م.

٢. حسن أوريد، (الموريسكي)، منشورات دار الأمان، الرباط، ط٣، ٢٠١٤ م.

٣. د. رضوى عاشور، (ثلاثية غرناطة)، دار الشروق، القاهرة، ط ١٤، ٢٠١٤ م.

٤. صبحى موسى، (الموريسكي الأخير)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ٢٠١٥ م.

٥. واسيني الأعرج، (البيت الأندلسي)، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠١٠ م.

ثانيًا المراجع:

أ – المراجع العربية:

١. د. أحمد فؤاد، السرد المعاصر (جماليات ومناهج تجريب)، مكتبة المتنبي، الدمام، ط١، ٢٠١٤ م.

٢. أحمد محمد عطيات، (الأندلس من السقوط إلى محاكم التفتيش)، أمواج للطباعة والنشر، الأردن، عمان، ط ١، ٢٠١٢م

٣. د. آمنة يوسف، (تقنيات السرد في النظرية والتطبيق)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠١٥م.

٤. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٠م.

٥. سعيد علوش، (معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٩م.

٦. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م.

٧. د. سيزا قاسم، (بناء الرواية – دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤م، (سلسلة إبداع المرأة).

٨. د. عبد الرحيم الكردي، (السرد في الرواية المعاصر – الرجل الذي فقد ظله نموذجًا)، دار الثقافة للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٣م.

٩. د. عبد الملك مرتاض، (في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت شعبان ١٤١٩هـ – ديسمبر / كانون الأول ١٩٩٨م.

١٠. عمر عيلان، (في مناهج تحليل الخطاب السردي)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (٢)، ٢٠٠٨م.

١١. د. لطيف زيتوني، (معجم مصطلحات نقد الرواية)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م.

١٢. د. محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف الجزائر – الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط ١، ٢٠١٠م.

١٣. محمد عبد الله عنان، (دولة الإسلام في الأندلس – العصر الرابع – نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٩٩٧ م.

١٤. د. محمود الضبع، (الرواية العربية الجديدة – قراءة في المشهد العربي المعاصر)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٥. د. مها حسن قصراوي، (الزمن في الرواية العربية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٤م.

١٦. ب– المراجع الأجنبية:

١. جيرار جينت، (خطاب الحكاية – بحث في المنهج)، ترجمة/ محمد معتصم – عبد الجليل الأزدي – عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ط ٢، ١٩٩٧م.